آليات الحجاج في خطاب الإمام علي السجّاد عليه السلام
(رسالة الحقوق أنموذجاً)

المدرس المساعد
فراس نوري إبراهيم
المديرية العامة للتربية في محافظة النجف
fnikash@gmail.com

The Mechanisms of argumentative in the speech addressed to Imam Ali Al-Sajjad (peace be upon him)
(Rights letter as a model)

Asst. Lecturer
Firas Noori Ibrahim
General Directorate of Education in Najaf Governorate

الملخص:-

تعدّ رسالة الحقوق للإمام عليّ بن الحسين السجاد عليه السلام من أقرب النصوص المعرفية لنظريّة الحجاج، لما لها من قيمة معنوية داعمة للنظرية الحجاجية فهي تمتلك من الآليات والأشكال والأدوات، ما يجعلها شديدة الصلة بالصياغات والمقولات الفلسفية التي استندت اليها البلاغة الجديدة التي من أهدافها دراسة وسائل التأثير في المخاطبين، وما تضفيه عليها مفاهيم الحجاج من مخرجات لسانية والتي تنبني أساساً على؛ الحقيقة، والمعقول والعدل والمبرر وما يتبع هذه المفاهيم، من أفكار وحقول معرفية، ويعد (بيرلمان) المؤسس الحقيقي لها، كما يتضح ذلك في كتابه(مصنف في الحجاج). في هذه المقالة حاولنا قدر المستطاع إبراز خصائص الخطاب في رسالة الحقوق وفق التمظهرات التواصلية مدعما ذلك بنتائج تحليلية.

الكلمات المفتاحية: النظرية الحجاجية، المخرجات اللسانية، التمظهرات التواصلية.

Abstract:-

The Message of Rights, by Imam Ali bin Al-Hussein Al-Sajjad, is one of closest cognitive texts to the theory of argumentation, because of its moral value in support of the argumentative theory, as it possesses mechanisms, shapes and tools, Which makes it closely related to the formulations, and philosophical sayings, on which the new rhetoric was based on, which one of its objectives, is the study of means, Influencing the addressees, and the linguistic outputs, that the concepts of argumentative give to them, which are based mainly; on truth, reason, justice and justification .And what follows these concepts, including ideas and fields of knowledge. In addition, Perelman is the true founder of them, as is evident in his book (Classified in argumentative). In this article, we tried to highlight the characteristics of the discourse in the rights message according to the communicative manifestations, supported by analytical results.

Key words: argumentative theory, linguistic output, communicative manifestations.

مقدمة:

تناولت البلاغة القديمة؛ قضية الحجاج، فقد نظّر أرسطو للحجاج بأنه حوار ينبني على أبعاد فلسفية، وتأسست النظريّة على دعامتين كبيرتين الأولى يختزلها مفهوم الاستدلال، والثانية تقوم على البحث اللغوي الوجودي[١]، ويمكن القول بأن الحجاج هو فعالية أو نشاط بلاغي يمثل إحدى أهم وظائف الخطاب، ولا ينظر إليه بطريقة اختزالية وإنما يفترض تواجد البعدين، الفردي والاجتماعي أو ما سماه ارسطو بالذاتي والجماعي، وهذا ما يجعل منه مقابلا دلاليا للوضعية التواصلية التي يتواجد فيها المتخاطبون [٢].

ويستمد الحجاج معناه وحدوده ووظائفه من مرجعيات الخطاب المتعددة ومن خصوصية الحقل التواصلي الذي يكتنفه، فنجد حجاجا "لسانيا" وآخر "بلاغياً" وحجاجا "قضائياً" وغيره "سياسيا"، وآخر "فلسفياً"، (لذلك يصبح الحجاج بعدا من أبعاد الخطاب الإنساني المكتوب والمنطوق) [٣]، وقد اثبت الحجاج فعاليته وقدرته على فكّ الكثير من مغاليق الخطاب، في مختلف المجالات المعرفية كالمنطق واللسانيات، وعلم النفس، وغيرها من التخصصات.

إن الطروحات التي تضمنتها هذه السطور توجّه عنايتها نحو آليات الخطاب التي تفترض وجود غاية اقناعية لكل خطاب، فلا وجود لخطاب دونما غاية اقناعية منه، يفتح لنا هذا التوجه، مفهوم المقاربة التي تتناول الظاهرة الحجاجية في تحقيقاتها الفسيولوجية أو السيكولوجية أو المنطقية وتتمحور كل هذه المسارات حول مفهوم موحّد للحجاج بأنه ممارسه عقلية أو تقنية للتأثير أو البحث عن الحقيقة؛ إذ سوف تنجلي الفكرة الرئيسية التي يقوم عليها مفهوم الحجاج، عبر استعمال قوى التأثير للوصول إلى إقناع السامع بصواب الفكرة التي تتحقق في العملية التواصلية، ويمكن اعتبار خطاب الامام السجاد عليه السلام خطابا موجّها نحو جمهور من الناس ذا مدى تأثيري بما يتضمن من أدوات لغوية تساعد المتقّبل على اكتشاف ما يعتبره الباث واقعيا وصحيحا، وقد تقوّم بحثنا في الكشف عن آليات الخطاب في نصوص (رسالة الحقوق) عبر تطبيق مفاهيم الحجاج ومرتكزاته المتمثلة؛ بالسلالم الحجاجية، والروابط الحجاجية، وأفعال الكلام.

الحجاج في اللغة:

ورد في لسان العرب مادة (حجج) :(حاججته، أي غلبته بالحجج التي أدليت بها). قال الأزهري: (الحجة، الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة ... وقال: إنما سميت حجه لأنها تحج أي تقصد لان القصد لها واليها، والحجة الدليل والبرهان) [٤] .

وفي مقاييس اللغة، يعرف ابن فارس الحجاج على النحو التالي (يقال حاججت فلانا فحاججته أي غلبته بالحجة، وذلك الظفر يكون عند الخصومة، والجمع حجج والمصدر حجاج) [٥].

وجاء في المعجم الفلسفي أن (الحجاج يقوم على جمع الحجج لإثبات رأي أو إبطاله والمحاججة طريقة تقديم الحجج والإفادة منها) [٦]. فالحجاج في معاجم اللغة أصله من الحجة وهو الدليل والبرهان وهي لفظة مرادفة للجدل، وفي موسوعة لالاند الفلسفية ورد ذكر الحجاج في مادّة حجة(Argument) بأنه (استدلال يرمي الى برهان قضية معينة أو دحضها) [٧] لذا فهي ترد مرادفة لعدة مفاهيم منها؛ الدليل والحوار والجدل والإقناع والبرهان. وهناك من يرى ان هناك قواسم مشتركة بين هذه المفاهيم، فالحجاج أوسع وأشمل من الاستدلال البرهاني، وليس كل حجاج جدل، وانّما كل جدل حجاج، وهذا ما يضفي اتساعا على مباحث الحجاج، بل انه (خطابا جديدا) لما ينطوي عليه من مراتب حوارية[٨].

معنى الحجاج اصطلاحا:

يعد مفهوم الحجاج من المفاهيم العائمة التي يصعب حصرها وتحديدها، ويتميز بكثرة الحقول المعرفية التي تتناوله من فلسفية ومنطقية وبلاغية وفي المقاربات اللسانية والخطابية وعلوم التواصل المعاصرة، ويدور مفهوم الحجاج بتعريفات تنسجم واتجاهات هذه الحقول المعرفية التي ترتبط بمفهوم الحجاج الذي تبلورت فكرته عند مؤسسيه بيرلمان وتيتكا ليكون (طائفة من تقنيات الخطاب التي تقصد إلى استمالة المتلقين إلى القضايا التي تعرض عليهم)[٩]، وتنطلق النظرية الحجاجية من فكرة شائعة مفادها:((أننا نتكلم عامة بقصد التأثير))، وهي من وضع اللغوي الفرنسي أزفالد ديكرو (O.Ducrot)، الذي يعرف الحجاج في كتابه (الحجاج في اللغة)، بأنه: حجاج يقوم على اللغة بل يكمن فيها، خلافا

لـ(بيرلمان) الذي عرف الحجاج بانه: مجموعة من الأساليب وتقنيات الخطاب التي تكون شبه منطقية أو شكلية او رياضية. ويحاول (ديكرو) في نظريته أن يبين أن اللغة بصورة ذاتية وجوهرية تحمل صفة حجاجية، وهذه الوظيفة تشتمل في المعنى كل الظواهر الصرفية والمعجمية والتركيبية والدلالية وفي هذا ترجمة للمصطلح الغربي (Argumentation) الذي يقابل معنى البرهان، وفي نظر (م.مارسال) أن (كل حجّة برهان وإذا استعملت هذه الكلمة في هذه الحالة فمرد ذلك الى تواضع وتحفّظ محمودين، ولكن من المستحسن بنحو خاص استعمالها عندما لا نقوم بغير ايراد استدلال الاخر) [١٠]، وفي هذا يقول طه عبد الرحمن (البرهان هو الاستدلال الذي يعني بترتب صور العبارات بعضها على بعض بصرف النظر عن مضامينها واستعمالاتها، وهو شبيه بالحجة المجردة) [١١].ومن المهم الإشارة الى مفهوم التوجيه الذي هو غاية الخطاب الحجاجي والتي تفرض على المخاطب نمطا من النتائج تمثل جهة وحيدة يسير فيها، ويقرّ(ديكرو) بسلطة الخطاب الحجاجي فهو خطاب يسدّ المنافذ على أي حجاج مضاد ويحرص على توجيه المتلقي الى وجهة واحدة دون سواها ويؤكد على الوظيفة الحجاجية للبنى اللغوية وإبراز السمة التوجيهية للخطاب[١٢]، وتنتمي دراسة الحجاج الى البحوث التي تسعى إلى اكتشاف منطق اللغة أي قواعد الخطاب الداخلية والمتحكمة في تسلسل الأقوال وتتابعها بشكل متنام وتدريجي[١٣].

الحجاج والتداولية:

تعد البلاغة الحديثة ذلك النشاط اللغوي الذي ازدهر داخل فن الخطابة وقد أظهرت فعاليتها التداولية وأثرها الاجتماعي من خلال طابعها اللابرهاني عبر القاعدة المشتركة بين الخطيب والسامع في عملية تسمى بالخطابة، يُتَكلّم فيها على الأشياء المقنعة، لذا فان ارتباط البلاغة بالخطابة ارتباط وظيفي أي من اجل الاقناع وتحويل الخطاب الى فعل عملي[١٤]، وتشترك المراتب الحوارية في كونها فعاليات خطابية، وهي لا تقوم إلا بشرطين هما؛ النص الاستدلالي، والتداول اللغوي، الذي يعتمد الإقناع في الأساليب الخطابية، فعندما يقصد المرسل إلى عرض أفكاره ويطالب المحاور مشاركته اعتقاداته فلا بد أن يتّبع في تحصيله سبلا استدلالية، فالأخذ بتنامي الخطاب لا يتم إلا بفرضية الحجاج، فهو شرط في الخطاب وركيزة مهمة في التداول اللغوي[١٥]، ويرى طه عبد الرحمن في كتابه أصول الحوار وتجديد علم

الكلام أن الحجاج (خطاب تداولي لان طابعه الفكري مقامي اجتماعي، يأخذ بعين الاعتبار مقتضيات الحال من معارف مشتركة)[١٦]، ففي العرف التداولي لم يعد المعنى مقتصرا على الفهم او التواصل كإحدى وظائف التداولية بل اصبح يمثل فلسفة وفكرا، انطلاقا من استنطاق النصوص، وفتح الآفاق أمام إجراءات درسيّة موسّعة منها؛ ما يكشف عن غوامض اللغة ويدفع الى التفكير ونعني به (التأويل)، ومنها ما يشتغل بالاعتقادات ويمثل بـ(الحجاج)، ومنها ما يؤثر في السلوك أي الإنجاز[١٧]، ونظرا لاتساع مجال البحث في قضايا الحجاج، الا انه يمكننا ان نستخلص تعريفا جامعا للحجاج من خلال تعريف بيرلمان:(ان هدف نظرية الحجاج هو دراسة التقنيات الخطابية التي تسمح بإثارة أو تعزيز موافقة الأشخاص على القضايا التي تقدم لهم)[١٨] واذا اخذنا بهذا التعريف فإننا نستطيع مقابلة هذا الهدف؛ بالغاية المتضمنة في القول وتعني الاستعانة بمفاهيم نظرية الأفعال الكلامية(الأفعال اللغوية) للفيلسوف البلجيكي اوستن[١٩]، والتي تعد من الآليات الحجاجية التداولية ومن آليات الحجاج فضلا عن نظرية الأفعال اللغوية؛ السلالم الحجاجية والروابط الحجاجية.

١ـ السلالم الحجاجية:

السلم الحجاجي: هو (علاقة ترتيبية للحجج) [٢٠]، ويجب ان تتوافر هذه العلاقة على أمرين؛

أ- مسرد للحجج تنزع كلّها الى الخلاصة ذاتها.

ب-طريقة عرض الحجج وترتيبها [٢١].

كما هو مبين في المخطط الآتي:

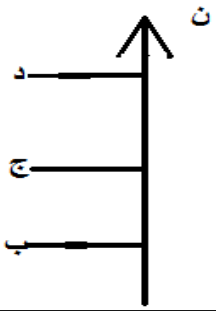

إذ إن الرمز (ن)= النتيجة؛ (ب)، (ج)، (د)، حجج وأدلة تخدم النتيجة (ن).

فهناك ثمة علاقة ترتيبية معينة بين الحجج المنتمية إلى فئة حجاجية ما، وقد رمزنا لهذه الحجج (ب)، (ج)، (د) في المخطط أعلاه من نفس السلم الحجاجي، ويتسم هذا السلم بما يأتي:

١- كل قول في درجات السلم، يكون القول الذي يعلوه دليلا أقوى منه بالنسبة ل(ن).

٢- إذا كانت ب تؤدي إلى النتيجة (ن)؛ فإن (ج)، و(د) تؤدي إليها، والعكس غير صحيح.

فمن حقوق الرعية ما يصوره لنا الإمام عليّ السّجاد في رسالته، إذ يقول:(وأما حقّ رعيّتك بالسلطان؛ فان تعلم إنما استرعيتهم بفضل قوتك عليهم، فانّه إنّما أحلّهم محلّ الرّعية لك ضعفهم وذلّهم، فما أولى من كَفاكهُ ضعفه وذله حتّى صيّره لك رعية، وصيّر عليك حكمه نافذاً لا يمتنع منك بعزّة ولا قوةٍ، ولا يستنصر فيما تعاظمه منك إلّا (بالله) بالرّحمة والحياطة والأناة، وما أولاك إذا عرفت ما أعطاك الله من فضل هذه العزّة والقوّة التي قهرت بها أن تكون لله شاكراً ومن شكر الله فيما أنعم عليه ولا قوة إلا بالله)[٢٢]. في النص تظهر الحجج متسلسلة متنامية تأخذ بعضها بحجز بعض في نسق حجاجي سلّمي وذلك بربط الأسباب بمسبّباتها، فلضعف الرّعية وحاجتهم للراعي الذي يملكهم، صار هذا السائس أو الراعي متسلّطا عليهم متحكّما بأمورهم، فإذا رمزنا لضعف الرعية بالرمز(ب)، ولذلّهم وعدم استنصارهم بالرمز (ج)، ولفضل قوة السّلطان ونفوذ الحكم فيهم بالرمز(د)، كانت النتيجة (ن)، وهي القوة والغلبة وصيرورتهم رعيّة لهذا السلطان، فان الحجّة (ب) تؤدي إلى النتيجة (ن)، وكذلك (ج) تؤدي إلى (ن)، وتكون هي أقوى هذه الحجج في مؤداها للنتيجة (ن)، وإذا أردنا أن نقتصر على الحجة ب في إيصالها إلى النتيجة ن، تكون حجة ضعيفة أو غير ممكنة، فليس بالضرورة إذا كانت (ج)، و، (د) تؤديان إلى النتيجة نفسها أن يكون العكس صحيحا أي أن تكون (ب) تحقق النتيجة نفسها.

إن النص السابق، لا يخلو من البرهان الذي هو من مرتكزات الحجاج، بل هو جوهر الخطاب الحجاجي، ويرى الفيلسوف المغربي طه عبد الرحمن أن لا خطاب بلا حجاج، ولا حجاج بلا برهان، وقد بحث أرسطو في القول الحجاجي قبل أن يبحث في البرهان، وكانت

المعطيات التي تمخضّت من دراسته في القول الأول قادته إلى دراسة الاستدلال في القول الثاني، فهو يربط بين الجدل والبرهان والحجة جاعلا ايّاها ضمن مباحث الاستدلال[٢٣].فالإمام عندما يذكر حق الرّعية على السلطان، يقوم بوضع الأدلة والبراهين لهذا الاسترعاء بقوله (إنما استرعيتهم بفضل قوتك عليهم) فالاسترعاء بالقوة هو من أظهر البراهين على تسلط الحاكم على الرعية، فتكون هذه حجة أخرى لقوله عليه السلام (فما أولى من كَفاكهُ ضعفه وذله حتى صيره لك رعية).

وفي نص آخر من الرسالة يذكر الامام حقّ الامّ على الاولاد يقول الامام (فحقُّ امّك أن تعلم أنها حملتك حيث لا يحمل أحدٌ احداً وأطعمتك من ثمرةِ قلبها ما لا يطعمُ أحدٌ أحدا وأنها وقتكَ بسمعها وبصرها ويدها ورجلها وشعرها وبشرها وجميع جوارحها مستبشرة بذلك فرحةً، موبلةً، محتملةً لما فيه مكروهها وألمها وثقلها وغمّها حتّى دفعتها عنك يد القدرة وأخرجتك الى الأرض فرضيَتْ أن تشبعَ وتجوع هي وتكسوكَ وتعرى وترويك وتظمأ وتظللك وتضحى وتنعّمك ببؤسها وتلذّذك بالنوم بأرقها وكان بطنها لك وعاءً وحجرها لك حواءً وثديها لك سقاءً ونفسها لكَ وقاءً تباشر حرّ الدنيا وبردها لك ودونك، فتشكُرها على قدر ذلك ولا تقدر عليه الّا بعون الله وتوفيقه)[٢٤].في تركيب هذه الالفاظ وجرسها يكاد الامام يجسّم العناء والجهد الذي تقاسيه الام طيلة مدة الحمل، وهي تجود بعاطفة أشد وأعمق وأحنى وأرفق، وفي النص مخرجات أخرى تلتمس طريقا الى التأويل او التوجيه في استنباط البراهين. فالأم تندفع بالفطرة الى رعاية الأولاد والتضحية بكل شيء حتى بالذات، فكما تمتص النابتة الخضراء كل غذاء في الحبّة فاذا هي فتات، كذلك يمتص الأولاد كلّ رحيق وكل عافية، فاذا هي شيخوخة فانية، مع ذلك فهي سعيدة بذلك وان وافاها الاجل. فالعبارات (حملتك، أطعمتك، وقتك، أخرجتك، تكسوك، ترويك، تظللك، ...) هي حجج وبراهين لحقّ الامّ تجاه ابنائها يحتاجها الأبناء لإستجاشة وجدانهم بقوة ليذكروا واجب الحبل الذي أنفق رحيقه حتى أدركه الجفاف، فلو اننا رمزنا لكل هذه المعطيات لكانت النتيجة واحدة وهي وجوب حقّ الام من حسن الطاعة وطيب القول والبعد عما يغضبها فلطالما شقيت الام بابنها حملا وفصالا ورضاعا وتربية وحياطه لذا وجب شكرها، وشكرها هو برّها، وكما ورد في الحديث في تأدية حقّها في سؤال من سأل :هل أدّيتُ حقّها فكان جوابه صلى الله عليه وآله: (لا، ولا بزفرة واحدة)[٢٥].

٢ـ الروابط الحجاجية:

تشتمل اللغة العربية على عدد كبير من الروابط والعوامل الحجاجية، نذكر من هذه الأدوات؛ (لكن، بل، إذن، حتى، لاسيما، إذ، لأن، بما أن، مع ذلك، ربما، تقريبا، إنما، ما، إلا، ...الخ)، ولكل حجة أو قضية نتيجة واحدة تخدم القوة الحجاجية، لكن بدرجات متفاوتة، مثال ذلك إذا رمزنا لحجة معينة بالرمز (ب) فان (ب) تستلزم (أ)، و بالإحالة على استلزام (ب) لـ (أ)، فان عليه أن يقبل (أ) وبالنسبة(ل)[٢٦]، نجد تطبيقا لهذا القانون في قول الإمام في حق الله (فأما حقّ الله الأكبر فانك تعبده لا تشرك به شيئا)[٢٧]، فقد استلزم قول الإمام بعدا حواريا تطلب أن يكون له نتيجة فيجيب عن هذا الاحتمال بقوله مستعملا أداة الربط الحجاجي (إذا):(فإذا فعلت ذلك بإخلاص جعل لك على نفسه أن يكفيك أمر الدنيا والآخرة ويحفظ لك ما تحبّ منها)[٢٨]، في هذا النص عدد من الروابط الحجاجية الا انّه يفتقر للمحددات الحجاجية أو ما تسمى بالعوامل الحجاجية وليست وظيفة هذه العوامل الربط بين الحجج والنتائج ولكنها تقوم بحصر وتقييد الإمكانات الحجاجية، ومن شأن العامل الحجاجي عند (ديكرو) و(انسكومبر) أنه قائم على تقوية درجة التوجيه في الخطاب (Renforcer l'Orientation) [٢٩]، ففي قول الامام عليه السلام في حق البصر(وأما حق بصرك فغضّه عما لا يحل لك، وترك ابتذاله إلا لموضع عبرة تستقبل بها بصرا أو تستفيد بها علما فان البصر باب الاعتبار)[٣٠]، فقد أطلق الامام عليه السلام العبارة في غض البصر فيما لا يحل لها ولكنه عاد ليقيدها بمحدد آخر في قوله (إلا لموضع عبرة...أو تستفيد بها علما)[٣١]مستعملا أداة الحصر (إلا).وتضم مقولة العوامل أدوات من قبيل :ربما، تقريبا، كاد، قليلا، كثيرا، ما، إلا وجل أدوات القصر.

فالعملية الحجاجية تقتضي الربط بين الأقوال على نحو تأويلي باستعمال أدوات الربط، ويقتضي الربط أن يكون بين عناصر متجانسة أو غير متجانسة وهذا يستدعي القول بان كل حجاج يؤول إلى قضية ونتيجة وليس كل قضية ونتيجة هي حجاج بالأحرى، إلا إذا توفرت الشروط الآتية في العملية الحجاجية:

١- إنها تمثل الأفكار والمعتقدات.

٢- تصلح لعدد كبير من الاحتمالات.

٣- هناك إمكان تطبيق الفكرة أو إبطالها.

ويجب أن تكون المبادئ الحجاجية مجموعة من المسلمات والكل يسلم بصدقها.

يقول الامام في حقّ الكبير (وأمّا حقُّ الكبير فان حقّه توقيره لسنّه واجلاله لتقدّمه في الإسلام قبلك وترك مقابلته عند الخصام ولا تسبقه الى طريق ولا تتقدمه ولا تستجهله وان جهل عليك احتملته وأكرمته لحقّ الإسلام وحرمته فإنما هي حقّ السنّ بقدر الإسلام ولا قوّة الا بالله) [٣٢].في النص تأكيد لحقّ الإسلام وأخلاقياته فيما له علاقة بتحديد العلاقة وحدود الاحترام بين الكبير والصغير، لذا توجّب على الصغير أن يُكِنّ الاحترام للكبير من التوقير وترك الخصام وعدم السبق في الطريق أو الاستجهال في حالة جهله بأمر ما والاكرام له لحقّ الإسلام ثم يردف الامام هذا القول بأداة الحصر (أنّما) التي هي احدى أدوات الربط الحجاجي بمعتقد او فكرة داعمة لما تم طرحه في النص من أفكار ومسلّمات تصلح للعديد من الاحتمالات، وتكون تطبيقا لفكرة النص بقوله(فإنما هي حقّ السنّ بقدر الإسلام ولا حول ولا قوّة الا بالله) وهي قانون شرعي وأخلاقي قابل للتطبيق والرّد، فيما اذا تفعّلت النتائج المتقدّمة؛ كالتوقير والاجلال والاكرام.

٣ـ الأفعال الكلامية:

في المفهوم اللساني التداولي يعد كل تصرف أو عمل اجتماعي أو مؤسساتي ينجزه الإنسان بالكلام "فعلاً كلاميا "، أو ما يطلق عليه بـ (نظرية الأفعال اللغوية) [٣٣].

ويرى أوستين أن "الفعل الكلامي" يراد به الانجاز الذي يؤديه المتكلم بمجرد تلفظه بملفوظات معينة ومن أمثلته: الأمر، والنهي، والوعد، والسؤال، والتعيين، والإقالة ومعاني الأساليب العربية المختلفة، خبرية كانت أم إنشائية ودلالات حروف المعاني ودلالات الخوالف، وأصناف أخرى من الصيغ والأساليب. ويمكن أن يكون هذا التيار في أصوله القديمة ممثلا بالبلاغة العربية القديمة في مسمّى (الخبر والإنشاء) [٣٤].

يتوسل الفعل الكلامي أفعالاً قوليه (Act Locators)، لتحقيق أغراضٍ انجازيه (Act allocators)، كالطلب والأمر والوعد والوعيد...الخ وغايات تأثيرية تخص ردود فعل المتلقي كالرفض والقبول، أي يطمح أن يكون ذا تأثير في المخاطب؛ اجتماعيا أو

مؤسساتيا ومن ثم انجاز شيء، وينقسم الفعل الكلامي بحسب (أوستين) إلى ثلاثة أفعال فرعية على النحو الآتي [٣٥]:

١- فعل القول أو الفعل اللغوي.

٢- الفعل المتضمن في القول.

٣- الفعل الناتج عن القول.

ومن خصائص الفعل الكلامي انه يقوم على مفهوم "القصدية" وهي قيمة تداولية نصية/ حوارية وتمثل شبكة من المفاهيم المترابطة وهذا ما أكده (سيرل) في أعماله وقد خصّ كل نفثة سمعية في موقف كلامي اعتيادي باننا نؤدي فعلا كلاميا وبواسطة هذه النفثات السمعية يمكن ان يصدر المتكلم حكما او يسأل سؤالا أو يصدر أمرا او يطلب طلبا او يفسر مشكلة علمية او يتنبأ بحدث في المستقبل وسمّاها (الأفعال التمريرية)، وقد عنى بها اصغر وحدة مكتملة في الاتصال اللغوي وهذه الأفعال لها آثار ونتائج في المستمعين كالحث أو الاقناع أو توقع أن يقوم شخص ما بشيء ما، كما ان هذه الأفعال ذات علاقة بنتائج إضافية تتخطى الاتصال اللغوي بوصفها (أفعالا تأثيرية)، لذلك فإننا يمكن ان نميز بين فعلين؛ الأول الفعل التمريري، الذي عليه مدار القصد بالفعل الكلامي، والثاني هو الفعل التأثيري ويتعلق بالآثار المترتبة على الفعل الكلامي سواء أكانت افعالا تمريرية أو غيرها على المستمعين ويجب ان تؤدى هذه الأفعال قصديا، فاذا لم تقصد أن تعطي وعدا أو تصدر حكما، اذاً فانت لم تنجز فعلا كلاميا الّا انّه ليس من الضروري أن تؤدي الافعال التأثيرية قصديا، وهي نتيجة على كون الفعل التمريري هو وحدة المعنى في الاتصال فيما ترتبط اللغة بالواقع بفضل المعنى الذي هو خاصية تحوّل المنطوقات المجرّدة الى أفعال تمريرية، والافعال التمريرية؛ لها معنى بدلالةٍ خاصّة جداً للكلمة، ما يمكّن اللغة من الارتباط بالواقع[٣٦].

ويمكن تمثيل العلاقة بين فعل القول والحدث أو الواقعة الموصوفة؛ فإذا كانت (ق) تمثل فعل القول، و، (ح) للحدث، وان (ق) تقابل (ح)، فان:

(ق)=(ح)

أي ربما (ق) =(ح) أو لاـــــ (ح)

يقول الإمام في حق المدّعي:(وأمّا حقُّ الخصْم المدّعي عليك فان كان ما يدّعيه عليك حقاً لم تنفسخ في حجته ولم تعمل في إبطال دعوته وكنت خصم نفسك والحاكم عليها والشاهد له بحقّه دون شهادة الشّهود فان ذلك حقُّ الله عليك وان كان ما يدّعيه باطلا رفقت به وردعته وناشدته بدينه وكسرت حدّته عنك بذكر الله وألقيت حشو الكلام ولغطه الذي لا يرُدُّ عنك عادية عدوك، بل تبوء بإثمه وبه يشحذ عليك سيف عداوته، لان لفظة السّوء تبعث الشّر والخير مُقْمعَة للشّر ولا حول ولا قوّة إلّا بالله) [٣٧]. في النصّ توظيف للأداة (أمّا) التي منحت الكلام فضل التوكيد، فالمدّعي إن كان صادقا فيما يدّعيه، فان حقّ الله الواجب عليك أنْ تُعينه على نفسك في أخذ الحقّ منها وتسليمه إلى أهله الشّرعيين، وان كلّفك ذلك ما لا تطيق، وان تكون شاهداً على نفسك قبل أن يشهد عليك غيرك، بالدليل الذي يأتي به الإمام برهانا على قوله (كُنت خصم نفسك، والحاكم عليها، والشاهد له بحقّه دون شهادة الشّهود)؛ إذ يقول:(لم تنفسخ في حجّته ولم تعمل على إبطال دعوته)، وهو برهان لقوله السابق؛ كون المدّعي صاحب الحق، فلا تنفسخ حجّته، ولا تبطل دعوته، وكنت قد عملت بالسداد.

ونلحظ في النص أن المدّعى عليه لديه الخيار أن يسلك السبيل الثاني وهو سبيل الرفض لادعاء الخصم وبهذا يكون مصداقا للعلاقة التي ذكرناها:

؛ (ق)=(ح)

أي ربما (ق) =(ح) أو لا ـــــ (ح)

إذ أن (ق)، تمثل موقف المدعى عليه، وان (ح) تمثل الحدث الذي هو قيامه بدور الحاكم فيما يحكم إما عدلا أو جورا.

إن غاية الحجاج الأساسية إنما هي احداث الفعل في المتلقي على نحو يدفعه إلى العمل أو يهيئه للقيام بالعمل [٣٨]، ولما كانت وظيفة الحجاج غائية لكونه خطاب موجه غايته القصوى إقناع المتلقي بما يحمله من أفكار وما يعرضه من مواقف ليحدث في نهاية المطاف أثرا واضحا في المتلقي لا من حيث أفكاره فحسب بل من حيث مواقفه وما قد يكون له من سلوك واقعي ملموس وتحقيق هذا التغير أو التبدل في أفكار المتلقي ومواقفه يعد علامة نجاح الخطاب الإقناعي ووجاهة الحجاج المتعمد [٣٩].

وفي خطاب الإمام عليه السلام نكاد نلمس هذه الخاصية بصورة جلية عندما يذكر الامام في، (حقّ المنعم بالولاء) يقول عليه السلام (وأما حقّ المنعم عليك بالولاء، فأن تعلم أنه أنفق فيك ماله وأخرجك من ذلّ الرّق ووحشته إلى عزّ الحرية وأنسها وأطلقك من أسر الملكة وفكّ عنك حلق العبوديّة ...) يلفت الإمام أنظارنا في هذه المقولة الى قيمة الحرية فالإسلام كثيرا ما ندب الى العتق وفك الرقبة، لكونه يعرف مدى لذّة الحرية في كلّ نفس، وما الدنيا تجاه ملك النفس وحريتها الا شيء ضئيل فهي أعزّ شيء على الانسان، واذا كان هذا الشيء بهذه المنزلة، فماذا يجب أن يكون لمن سبب هذه الحرية، وكان طريقا اليها فحقّه اذن عظيم أيسره الشكر والإخلاص والولاء له وعدم التنكر، ومؤاخاته ومناصرته في الشدائد والملمات[٤٠] إذ يقرر في ذهن المتلقي بعد أن ينسب هذه الحقوق للمنعم، فهو صاحب الفضل في ما أنفقه من أموال بحق مولاه، وكان سببا في إخراجه من ذل الرّق إلى عزّ الحرية، وهذه حقائق يقرّها المجتمع آنذاك، وان ما يعرضه من خطاب، واقع لا مراء فيه وحقيقة لا سبيل إلى دحضها، فالإمام يقوم بدور المحتج ليفعل في المتلقي ذلك التأثير المنشود، ويختفي وراء قناع المحلل الرّصين الذي يعرض الأحداث بموضوعية وتجرد تامّين، فإذا بالخطاب شفاف في ظاهره وفي باطنه، مما يجعل المتلقي مهيئاً لقبول ما سيؤول إليه الخطاب وما يلزمه من أفعال، ليترسل الإمام بذكر باقي حقوق المنعم بالإحسان لتحقيق المطلب المقصود، بقوله:(فتعلم أنه أولى الخلق بعد أولى رحمك في حياتك وموتك وأحقّ الخلق بنصرك ومعونتك ومكانتك في ذات الله فلا تؤثر عليه نفسك ما احتاج إليها)[٤١]، فقد تحول الخطاب من مجرد أقوال يسمعها أو يقرأها المتلقي إلى مؤثر قوي ينتج فعلا لدى المتلقي، ويمكن أن يندرج هذا الكلام في القسم الثالث لآخر مرحله من مراحل بحث (اوستين) الموسوم(الفعل الكلامي الكامل)، الذي يتضمن الفعل الناتج عن القول، فالفاعل الذي هو الشخص المتكلم الذي يمثله قول الإمام عليه السلام، وهو الذي يقوم بفعل يتسبب في نشوء آثار في المشاعر والفكر، ومن أمثلة تلك الآثار؛ الإقناع، التضليل، الإرشاد، والتثبيط...، وقد سماه (اوستين): الفعل الناتج عن القول، أو (الفعل التأثيري)[٤٢].

الخاتمة:

آثرنا أن نقوم بدراسة رسالة الحقوق للإمام عليّ السجاد عليه السلام دراسة لسانيه تتفق

وأحدث ما تمخضت به اللسانيات في مجال الحجاج والتداولية، لما لهذه الرسالة من أهمية؛ لكونها تحتوي على مجموعة من القوانين المهمة والنافذة في مجال التشريع، فضلا عن أهميتها على المستوى البلاغي واللساني العربي، لما عرف عن أهل البيت من الفصاحة والبلاغة.

ولا يخفى أن الباحث قد توصل إلى بعض النتائج بعد البحث والتحليل لنصوص الرسالة التي من أبرزها ما يلي:

١- امتاز النصّ بقوته الإقناعية، لما توافر عليه من آليات الحجاج وروابطه وبما اشتمل عليه من سلالم منطقيه.

٢- حصول حالة التناغم البين والانسجام الجلي بين مفاصل الخطاب في رسالة الحقوق، فلا مكان للتناقض.

٣- تلبي الرسالة متطلبات مفهوم القدرة والكفاية اللغوية، لاقتحامها عالم المتلقي وتغييره، وفق ما يقتضيه منطق الخطاب.

٤- في خطاب الإمام عليه السلام سمه توجيهيه، لما يمتلكه الخطاب الحجاجي من غاية تفرض على المخاطب نمطا من النتائج على نحو يسد المنافذ على أي حجاج مخالف، فيحرص على توجيه المتلقي إلى وجهة واحدة دون سواها.

٥- توزعت أساليب الخطاب في رسالة الحقوق ضمن ثلاث آليات حجاجية وبتسلسل منطقي أقرب الى التطبيق من المقولات والاستدلال.

٦- مخرجات الرسالة قابلة لطروحات الفلسفة الحديثة، وتمظهرات اللسان التداولية، وتفتح الأبواب نحو آفاق درسيّة موسّعة للإرث البلاغي العربي.

هوامش البحث

(١) ظ: الحجاج في البلاغة المعاصرة، د. محمد السالم محمد الأمين الطّلبه، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨، ص:٣٦

(٢) ظ: النظرية الحجاجية، محمد طروس، دار الثقافة للطباعة والنشر، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٥م، ص:١٢.

(٣) الاستدلال الحجاجي، حبيب إعراب، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مج ٢، عدد١، ٢٠٠١م: ص٩٨.

(٤) لسان العرب، جمال ابن منظور الانصاري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، مادة (حجه): مجل١١: ص ٢٣١.

(٥) مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، دار الجيل، بيروت، ط١، مج٢: ص ٣٠.

(٦) المعجم الفلسفي، إبراهيم مدكور، مجمع اللغة العربية، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٨٣، ص: ٦٧.

(٧) موسوعة لالاند الفلسفية، أندريه لالاند، تعريب خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، ط٢، ٢٠٠١م ص: ٩٣.

(٨) ظ: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الاسلوبية، عبد الله صوله، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط٢، ٢٠٠٧م، ص:٢٠-٢١.

(٩) النص والخطاب والاتصال، د. محمد العبد، الأكاديمية الحديثة للكتاب، القاهرة، ط١: ص ١٨٧.

(١٠) المصدر نفسه: ٩٣.

(١١) اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، طه عبد الرحمن المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٨، ص٢٢٥.

(١٢) الحجاج في الشعر العربي، بنيته وأساليبه، سامية الدريدي، عالم الكتب الحديث اربد، الأردن، ط٢، ٢٠١١ م.ص:٢٣-٢٤.

(١٣)ظ: اللغة والحجاج، د. أبو بكر العزاوي، مطابع العمدة في الطبع، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٦: ص ٨.

(١٤) ظ: الفلسفة والبلاغة، مقاربة حجاجية للخطاب الفلسفي، د. عمار ناصر الدار العربية للعلوم ناشرون، ط١، ٢٠٠٩، ص١٨، ٢٨.

(١٥) ظ: استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط١، ص:٤٤٦.

(١٦) في أصول الحوار وعلم الكلام، طه عبد الرحمن المركز الثقافي العربي، الرباط :٤٧

(١٧) ظ: الإجراءات التداولية التأثيرية في التراث البلاغي العربي بين التأويل والحجاج والانجاز، د. عامر خليل الجراح، دار سنابل للطباعة والنشر، استنبول، تركيا، ط١، ٢٠١٩م:١٠.

(١٨) الحجاج أطره ومنطلقاته من خلال مصنف في الحجاج الخطابة الجديدة لبيرلمان وتيتكا: ٢٩٢.

(١٩) ظ: تداولية الخطاب السردي، دراسة تحليلية في وحي القلم للرافعي، محمود طلحة، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، ط١، ٢٠١٢: ١٠٤

(٢٠) اللغة والحجاج، د. أبو بكر العزاوي:٢١

(٢١) موسوعة لالاند الفلسفية:٩٤

(٢٢) رسالة الحقوق الإمام علي بن الحسين السجاد عليه السلام، منشورات العتبة العلوية المقدسة، النجف الأشرف، ط١، ٢٠٠٣م، ص:١٣

(٢٣) ظ:أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو الى اليوم، حمادي صمود، المطبعة الرسمية في تونس د.ت: ص:٩٢.

(٢٤) رسالة الحقوق:١٤.

(٢٥) شرح رسالة الحقوق للإمام زين العابدين، حسن القبانجي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٣م، ٤١٢/١.

(٢٦) ظ:اللغة والحجاج، د. أبو بكر العزاوي:٢٧

(٢٧) رسالة الحقوق:٣

(٢٨) المصدر نفسه:٣

(٢٩) العوامل الحجاجية في اللغة العربية، د. عزّ الدين الناجح، دار نهى، صفاقس، تونس، ط١، ٢٠١١م، ص:٣٢.

(٣٠) رسالة الحقوق:٥

(٣١) المصدر نفسه:٥

(٣٢)المصدر نفسه:٣٠

(٣٣) ظ: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، دومينيك مانغونو، ترجمة محمد يحياتن، الدار العربية للعلوم، منشورات الاختلاف، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٨ م، ص: ٧.

(٣٤) ظ: التداولية عند العلماء العرب، د. مسعود صحراوي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٥، ص:١٠

(٣٥) ظ: المصدر نفسه:٤١-٤٢

(٣٦) ظ:العقل واللغة والمجتمع، الفلسفة في العالم الواقعي، جون سيرل، ترجمة سعيد الغانمي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٦م، ص٢٠١ -٢٠٥

(٣٧) رسالة الحقوق:٢٤-٢٥.

(٣٨) ظ: هل يمكن إن يوجد حجاج غير بلاغي: اوليفي روبول، ترجمة محمد العمري، مجلة علامات في النقد، اصدار النادي الادبي الثقافي بجدّه، المملكة العربية السعودية، ج٢٢، المجلد ٦، ١٩٩٦، ص٩٢.

(٣٩) الحجاج في الشعر العربي، بنيته وأساليبه، سامية الدريدي:٣٥

(٤٠) ظ: شرح رسالة الحقوق، حسن القبانجي، ٢/ ١٤.
(٤١) رسالة الحقوق:١٨
(٤٢) نظرية أفعال الكلام، أوستين، ترجمة، عبد القادر قنيني، الدار البيضاء، ١٩٩١، ص١٢٣.

قائمة مصادر والمراجع

١. الإجراءات التداولية التأثيرية في التراث البلاغي العربي بين التأويل والحجاج والانجاز، د. عامر خليل الجراح، دار سنابل للطباعة والنشر، استنبول، تركيا، ط١، ٢٠١٩م.
٢. الاستدلال الحجاجي، حبيب إعراب، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت مج ٣٠، عدد١، ٢٠٠١ م.
٣. استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م.
٤. في أصول الحوار وعلم الكلام، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، الرباط، ط٢، ٢٠٠٠ م.
٥. أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو الى اليوم، حمادي صمود، المطبعة الرسمية في تونس، د.ت، ١٩٧٢ م.
٦. تداولية الخطاب السردي، دراسة تحليلية في وحي القلم للرافعي، محمود طلحة، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، ط١، ٢٠١٢.
٧. التداولية عند العلماء العرب، د. مسعود صحراوي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٥م.
٨. الحجاج في البلاغة المعاصرة، د. محمد السالم محمد الأمين الطّلبة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨.
٩. الحجاج في الشعر العربي، بنيته وأساليبه، سامية الدريدي، عالم الكتب الحديث اربد، الأردن، ط٢، ٢٠١١ م.
١٠. الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الاسلوبية، عبد الله صولة، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط٢، ٢٠٠٧م
١١. رسالة الحقوق، الإمام علي بن الحسين السجاد عليه السلام، منشورات العتبة العلوية المقدسة، النجف الأشرف، ط١، ٢٠٠٣م.

١٢. شرح رسالة الحقوق للإمام زين العابدين، حسن القبانجي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٣م.

١٣. العقل واللغة والمجتمع، الفلسفة في العالم الواقعي، جون سيرل، ترجمة سعيد الغانمي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٦م.

١٤. العوامل الحجاجية في اللغة العربية، د. عزّ الدين الناجح، دار نهى، صفاقس، تونس، ط١، ٢٠١١م.

١٥. الفلسفة والبلاغة، مقاربة حجاجية للخطاب الفلسفي، د. عمار ناصر الدار العربية للعلوم ناشرون، ط١، ٢٠٠٩.

١٦. لسان العرب، جمال ابن منظور الانصاري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م.

١٧. اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٨ م.

١٨. اللغة والحجاج، د. أبو بكر العزاوي، مطابع (العمدة في الطبع)، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٦ م.

١٩. المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، دومينيك مانغونو، ترجمة محمد يحياتن، الدار العربية للعلوم، منشورات الاختلاف، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٨ م.

٢٠. المعجم الفلسفي، إبراهيم مدكور، مجمع اللغة العربية، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٨٣م.

٢١. مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٧٩م.

٢٢. موسوعة لالاند الفلسفية، أندريه لالاند، تعريب خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، ط٢، ٢٠٠١م.

٢٣. النص والخطاب والاتصال، د. محمد العبد، الأكاديمية الحديثة للكتاب، القاهرة، ط ١، ٢٠١٤م.

٢٤. نظرية أفعال الكلام، أوستين، ترجمة، عبد القادر قنيني، الدار البيضاء، ١٩٩١ م.

٢٥. النظرية الحجاجية، محمد طروس، دار الثقافة للطباعة والنشر، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٥م.

٢٦. هل يمكن إن يوجد حجاج غير بلاغي: اوليفي روبول، ترجمة محمد العمري، مجلة علامات في النقد، اصدار النادي الادبي الثقافي بجدّه، المملكة العربية السعودية، ج٢٢، المجلد ٦، ١٩٩٦ ج٢٢، المجلد ٦، ١٩٩٦.